الضمير المحتمل في سورة الكهف

ـدراسة دلاليةـ

أ. حسنى عائشة ناصر (برّاز)[1]

تاريخ الإستلام: 2019 - 03- 23 تاريخ القبول: 2019- 09- 08

الملخص: عَدُّ الضمير من مباحث النحو التي تحتاج إلى تدبّر وبحث لمعرفة مرجعه أو العائد عليه، وبما أنّ الضمائر من المبهمات كالظروف والأسماء الموصولة وغيرها، تحتاج إلى شيء يفسّرها ويوضح المراد منها، ويُسَمَّى مفسر الضمير بالمرجع.

بما أنّ بيان عود الضمير من الأمور الرئيسة لكشف تجليّات النص، ومن القضايا المهمة للوصول إلى المعنى وكشف الدلالة، وعليه فإنّ الضمائر تكتسب أهميّتها من خلال تعويضها للأسماء الظاهرة، ولا تقف أهميتها عن هذا الحد فحسب؛ بل تتعداه إلى كونها تربط بين أجزاء النّصّ المحتملة، إذ إنّه وسيلة من وسائل الإحالة النصيّة فهو يحقق التماسك النّصي في علم اللغة النّصّي أو ما يُسَمَّى لسانيات النص.

ففي النص القرآني اختلف المفسرون في تأويل مرجع الضمير، فهناك ضمائر تحتمل مرجعا واحداً لا غير، وأخرى تحتمل أكثر من مرجع؛ لكن هذا الاختلاف هو اختلاف اجتهاد لا اختلاف تضاد.

[1] قسم اللغة العربية وآدابها –كلية الآداب واللغات الشرقية- جامعة الجزائر 2- الجزائر، البريد الإلكتروني: aaicha@live.fr

نص الإشكالية: إذا كان الضمير من المبهمات التي تحتاج إلى تأويل، فهل يصعب تحديد مرجعيته خاصة إذا كان هذا الضمير يحتمل أكثر من مرجع؟ وهل فعلا يؤدّي تعدد مرجع الضمير في القرآن الكريم لاختلاف معانيه أم أنّ هذا الاختلاف يدعم إعجازه اللغوي؟

الكلمات المفتاحية: الضمير، المحتمل، المرجعية.

Abstract: One of the greatest reaserches of grammaris the conscience which needs much more knowldge and reaserch. Althought or since the conscience isconsidered as ambiguity like prepositions and relative pronouns need to a thing which explains it and clarify it. The definer of conscience iscalled the source.

From the main important things that provethat the conscience shows the text perfermance and from the essential deals to achieve the sense and show the meaning. In the Coranictexts the explainors have defined the conscience differentely. There are conscience which attainonly source and others more than one. But this differenceis good not bad.

Dilemmatext (aproblem): If the conscience isconsidred as ambiguity which needs explanation. So, isiteasy to defineits resources and it has different and more than one source ? andisitreally due to numerous resources in "Holly Quran"because of itsmeaning or this difference adequates (support) its langual miraches ?

Keywords: the conscience ; probable, reference.

مقدّمة: إنّ الضمير من المبهمات كالظروف والأسماء الموصولة وأسماء الإشارة وغيرها، تحتاج إلى ما يزيل عنها هذا الإبهام والغموض، ومن هذا نجد أنّ من الضمائر في القرآن الكريم في حاجة ماسّة إلى ما يكشف عنها هذا الإبهام والغموض.

إذ إنّ هناك من الضمائر في القرآن الكريم ما تحتمل مرجعا واحدا فحسب ومنها ما تحتمل أكثر من مرجع على حَسَبِ اختلاف أقوال المفسرين في تأويل ما يعود إليه؛ ولكن هذا الاختلاف ليس اختلاف تضاد وإنّما هو اختلاف اجتهاد.

وعلى هذا الاختلاف بنينا هذه الدراسة وعززناها بشواهد قرآنية من سورة الكهف ووثقناها بالمصادر والمراجع التي تتعلق بهذا الموضوع من بينها: الكشاف للزمخشري، اللباب في علوم الكتاب للحنبلي، البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي المحرر الوجيز لابن عطية ...

وقد اخترنا سورة الكهف لما تحتويه من ضمائر كثيرة، لأنّ طبيعتها طبيعة قصصية تقتضي استخدام النمط السردي، الذي من خصائصه الإيجاز تارة والإطناب تارة أخرى؛ ومن الإيجاز استخدام الضمائر التي تعد من أهم عناصر الاتساق والانسجام في النص.

وقد بنيت هذا البحث انطلاقا من دراسة موسومة بـ الضمائر المحتملة في القرآن الكريم للباحث ملفي بن ناعم الصّاعدي الصادرة بمجلة الجامعة الإسلامية العدد 127 إلاّ أنَّ الباحث تناول في هذه الدراسة سورة البقرة فقط رغم تصريحه في عنوان بحثه بدراسة كلّ سور القرآن الكريم.

وفي دراستي هذه تناولت **الضمائر المحتملة في سورة الكهف**، وفيما يأتي تفصيل وتحليل لاحتمالية هذه الضمائر.

تمهيد:

1- مفهوم الضمير لغة: الضُّمْرُ من الهُزال (...) الفعل ضَمَرَ يَضْمُرُ ضُمُورًا فهو ضَامِرٌ (...) والضَمِيرُ الشيء الذي تُضْمِرُهُ في ضَمِير قلبك،وتَقول أضْمَرتُ صَرفَ الحرف إذا كان مُتَحرِّكًا فأسكَنتُه [1]. والضّمرُ: الصَّلبُ الشّديدُ من كلِّ شيء وضَمَرَ الفرس وضَمُرَ ضُمُورًا، وأَضْمَرتُه إِضْمَارًا، وأَضْمَرتُ في نفسي حديثا، إذا أخفيته [2].

وأضْـمَرَتِ الأرضُ الرَّجـلُ غيَّبتـه والإضـمارُ: استقصـاء الشـيء [3]. والضـاد والمـيم والـراء أصلان صحيحان: أحـدهما يَـدُلُّ علـى دقّـة في الشـيءِ والآخـر يـدلُّ علـى غيبـة وتستُّرٍ [4]، والاسم الضمير والجمع الضمائر [5].

ويتضح من خلال ما ورد في المعاجم العربية أن الضمير في اللغة يدور حول هذه المعاني: الخفاء والسِّرُ،والغيبة، والهزال والقلّةُ؛ فجاء بمعنى الخفاء لاستتاره الاسم الصريح، والغيبة ما وُضِعَ للغائب فدَلَّ عليه، والهزال والقلّة لضآلة حروفه وقلَّتِها.

2- مفهوم الضمير اصطلاحا: يعرفه فاضل السّامرائي بقوله: «الضمير فعيل بمعنى اسم المفعول، من أضمرتُ الشيء في نفسي، إذا أخفيته وسترته، فهو مضمر» [6].

يتَّضح لنا من خلال هذا التعريف أن فاضل السامرائي لم يخرج عن نطاق التعريف اللغوي للضمير المعروف عند المعجميين.

ويُضيف عباس حسن تعريفا آخر للضمير فيقول: «الضمير اسم جامد يدُلُّ على متكلم أو مخاطب أو غائب، فالمتكلم مثل أنا(...)، والمخاطب مثل أنت (...) والغائب مثل هي (...)، ويُسمى ضمير متكلم ومخاطب ضمير حضور لأنّ صاحبه لابُدَّ أن يكون حاضرًا وقت النطق به» [7].

لم يخالف عباس حسن في تعريفه للضمير النحاة القدماء، إذ إنَّ تعريفه للضمير توافق تماما مع ما ورد في كتبهم، كما نجده قد قسَّم الضمير إلى حضور وغيبة وقد سبقه في هذا التقسيم ابن مالك.

أمّا تمّام حسان فقد ركز على دلالة الضمير دون التعريف به حيث قال: «لا يدل الضمير على مسمى كالاسم ولا على موصوف بالحدث كالصفة، ولا على حدث وزمن كالفعل لأن دلالة الضمير تتجه إلى المعاني الصرفية العامة التي أطلقنا عليها معاني التصريف والتي قلنا إنّها يعبر عنها بالواصف والزوائد ونحوها والمعنى الصرفي العام الذي يعبّر عنه الضمير هو عموم الحاضر أو الغائب دون دلالة على خصوص الغائب أو الحاضر، وهذا هو المقصود بقول ابن مالك

ومـــا لـــذي غيبـــة أو حضـــور كأنـــت وهـــو سَـــمٌ بالضـــمير»[8]

نلاحظ مما سبق ذكره أنّ تمام حسان لم يهتمّ بتعريف الضمير من حيث بناؤه وتركيبه، بل اهتمّ بالجانب الدلالي له، كما أنّه شرح تقسيم ابن مالك لأنواع الضمير.

3- مرجع الضمير: اختلف المفسرون في تحديد مرجعية الضمير، والنص القرآني فيه ما يحتمل وجها واحدا وفيه ما يحتمل وجوها متعددة فقد يعود على أقرب مذكور، أو المتحدث عنه أو غائب إلى غير ذلك.

ونجد أنّ محمد حسنين صبرة قد حدد صور مرجع ضمير الغائب إذ قسمه إلى قسمين الأول سماه بالمرجع المحدد والثاني بالمرجع غير المحدد، ويقصد بالمرجع المحدد: «هو ما كان كلمة واحدة يرجع إليها الضمير، وهذا المرجع ينقسم إلى قسمين مرجع صريح ويقصد به المرجع الواضح الذي لا يحتاج إلى إعمال الفكر أما المرجع غير الصريح ويقصد به المرجع الذي يحتاج إلى إعمال الفكر وطول نظر»[9]

أما المرجع غير المحدد ويقصد به: «أن يسبق ضمير الغائب مرجعان أو أكثر ويجوز أن يرجع الضمير إلى كل منها، وإن ترجح - في بعض الأحيان- أن يرجع إلى واحد منها»[10]

نرى أن محمد حسنين صبرة قد سمّى الضمائر التي ما تحتمل أكثر من مرجع بالمرجع غير المحدد وهو المحتمل الذي سنتطرق إليه في بحثنا هذا

الضمائر المحتملة في سورة الكهف: إنّ الضمير في جميع الأحوال يعود على ما قبله؛ لكن إذا كان هذا العائد يحتمل عدة أقوال فذلك دليل على إعجاز القرآن الكريم، والقرآن الكريم يحوي عددا كبيرا من الضمائر المحتملة، وما هذه الدراسة إلّا تمهيد لبحث كبير فيه، وفي هذه الدراسة سنطبّق على سورة الكهف، وذلك على النحو الآتي:

1- قال الله تعالى: ﴿وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَاۜ﴾ [11].

في هذه الآية قولان:

القول الأوّل: أنّ الضمير في (**له**) عائدٌ على (**عبده**) أو على (**الكتاب**)، وهذا قول أبي حيان الأندلسي، وابن عادل الدمشقي الحنبلي؛حيث يقول أبو حيان في تفسيره البحر المحيط: «والظاهر أنّ الضمير في (**له**) عائد على الكتاب وعليه التخاريج الإعرابية السابقة، وزعم قوم أنّ الضمير في (**له**) عائد على **عبده**، والتقدير على عبده وجعله قيّما.»[12]

أمّا ابن عادل الدمشقي الحنبلي فيقول: «والضمير في (**له**) أحدهما أنّه للكتاب وعليه التخاريج المتقدّمة والثاني أنّه يعود على عبده وليس بواضح.»[13]

والقول الثاني: أنّ الضمير في (**له**) يعود على (**الكتاب**) فقط، وهذا قول الطبري حيث يقول: «(...) فأخبر جلَّ ثناؤه أنّه أنزل الكتاب الذي أنزله على محمد صلى الله عليه وسلم قيّما مستقيما»[14]

أمّا محمد الطاهر بن عاشور؛ يقول محمد الطاهر بن عاشور في تفسيره التحرير والتنوير: «وضمير (**له**) عائد إلى الكتاب»[15]

والراجح –والله أعلم- أنّ الضمير في (**له**) يعود على **الكتاب** فقط وهذا لأنّ الضمير يعود على أقرب عائد. قال تعالى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَاۜ﴾ (الكهف/1)

2 قال الله تعالى: ﴿مَّا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِءَابَآئِهِمْۚ﴾ [16].

اختلف المفسرون في هذه الآية على رأيين:

<u>الأول:</u> قول أبي حيّان الأندلسي والألوسي، وابن عادل الدمشقي الحنبلي، أمّا أبو حيّان الأندلسي فقد قال: «والضمير في (**به**) الظاهر أنّه عائد على **الولد الذي ادّعوه**

(...) والصّواب عندي أنّه نفي مؤتنف أخبر الله تعالى به بجهلهم في ذلك، ولا موضع للجملة من الإعراب، ويحتمل أن يعود على الله تعالى.»[17]

وأمّا ابن عادل الدمشقي الحنبلي فقد قال: «**(مالهم به)** أي **بالولد**، أو **باتخاذه**، أو **بالقول المدلول عليه اتّخذ وبـ(قالوا)، وبالله.**»[18]

والثاني: أنّ الضمير عائد على **القول** وهذا رأي محمد الطاهر بن عاشور الذي يقول: «وضمير (**بـه**) عائد على مصدر مأخوذ من فعل (**قالوا**) أي مالهم بذلك القول من علم.»[19]

والراجح –والله أعلم القول الأوّل لأنّ الآية تتحدث عن **الولد** الذي ادّعاه الكفّار أنّه ابن الله، وهذا أقرب.

3- قوله تعالى: ﴿ إِنَّهُمْ إِن يَظْهَرُوا۟ عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ ﴾[20].

في هذه الآية اختلف المفسرون في مرجعية الضمير في (إنّهم) على ثلاثة آراء:

الأوّل: أنّ الضمير عائد على **الأهل** وهو رأي الألوسي والزمخشري إذ يقول الزمخشري في تفسيره: «الضّمير في (**إنّهم**) راجع إلى الأهل المقدّر في (أيّها).»[21]

والثاني: أنّ الضمير عائد إلى **كفار تلك المدينة** وهذا رأي أبو حيّان الأندلسي حيث يقول «والضّمير في (**إنّهم**) عائد على ما دلّ عليه المعنى من كفار تلك المدينة»[22]

والثالث: أنّ الضّمير عائد إلى **جميع الناس** وهو رأي الطاهر ابن عاشور حيث يقول: «وضمير (**إنّهم**) عائد إلى ما أفاد العموم في قوله (ولا يشعرنّ بكم أحدا) فصار (أحدا) في معنى جميع الناس على حكم النكرة في سياق شبه النهي.»[23]

أما السمين الحلبي فيقول: «(إنّهم) هذا الضمير يجوز أن يعود على أحد لأنه في معنى الجمع»[24]

والراجح –والله أعلم- القول الثالث لأنّ كلمة (أحدا) أوضحت أنّ المقصود جميع الناس وليس الكفار فقط –والله أعلم- .

4- قال تعالى: ﴿لِيَعْلَمُوٓاْ أَنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ﴾[25].

في هذه الآية قولان:

الأوّل: رأي ابن عطية حيث يقول: « **(ليعلموا)** يحتمل أن يعود على **الأمّة المسلمة** الذين بعث أهل الكهف على عهدهم ...ويحتمل أن يعود على **أصحاب الكهف.**»[26]

الثاني: يرى الطاهر بن عاشور وكذلك عبد الرحمان بن ناصر السعدي أنّ الضمير في ليعلموا عائد على **أهل المدينة**حيث يقول الطاهر بن عاشور في تفسيره: « وضمير ليعلموا عائد إلى مفعول به محذوف تقديره أهل المدينة. وكذلك الضمير في (يتنازعون وبينهم) عائدان إلى ماعد إليه ضمير (ليعلموا)في قوله تعالى: ﴿إِذْ يَتَنَٰزَعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ﴾.[27]

أمّا بن ناصر السعدي فيقول: «يُخبر الله تعالى أنّه أطلع الناس على حال أهل الكهف وذلك والله أعلم بعدما استيقظوا.»[28]

من خلال ما جاء في التفاسير القول الأوّل هو الأرجح - والله أعلم- ، لأنّ أهل المدينة في عهد أصحاب الكهف كانوا في شك من يوم البعث.

5- قال تعالى: ﴿سَيَقُولُونَ ثَلَٰثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ﴾[29].

اختلف المفسرون في مرجع الضمير في سيقولون على ثلاثة أقوال:

القول الأول: الضمير في "سيقولون "عائد إلى**أهل الكتاب** وهذا قول الزمخشري حيث يقول: «الضمير: لمن خاض في قصتهم في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم من أهل الكتاب والمؤمنين سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عنهم فأخر الجواب أن يوحي إليهم فيهم.»[30]

أمّا الطبري فهو كذلك مع رأي الزمخشري فيقول: «سيقولون بعض الخائضين في أمر الفتية من أصحاب الكهف.»[31]

القول الثاني: الضمير عائد على **المتنازعين** وهذا قول أبو حيان الأندلسي إذ يقول: «الضمير في **(سيقولون)** عائد على من تقدّم ذكرهم وهم المتنازعون في

حديثهم قبل ظهورهم عليهم فأخبر تعالى نبيه بما كان من اختلاف قومهم في عددهم.»[32]

القول الثالث: الضمير في" سيقولون "عائد **على اليهود أو غيرهم** وهذا قول ابن جزي حيث يقول: «الضمير لمن كان في زمان النبي صلى الله عليه وسلم من اليهود أو غيرهم ممن تكلم في أصحاب الكهف.»[33]

من خلال ما جاء في التفاسير يبدو أنّ الرأي الثالث هو الأرجح لأنّه يحتمل كل هذه الأقوال والله أعلم.

6- قال تعالى: ﴿ مَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِيٍّ وَلَا يُشْرِكُ فِى حُكْمِهِۦٓ أَحَدًا ﴾[34]

في هذه الآية قولان:

القول الأول: قول الألوسي والزمخشري والطبري، حيث يقول الزمخشري في تفسيره: «الضمير **لأهل السماوات والأرض.**»[35]، ويقول الألوسي: «أي لأهل السماوات والأرض المدلول عليه بذكرهما»[36]، أمّا الطبري فيقول: «يقول جلّ ثناؤه ما لخلقه دون ربّهم الذي خلقهم ولي يلي أمرهم وتدبيرهم وصرفهم فيما هم فيه مصرفون»[37]

القول الثاني: قول ابن عطية فيقول: «يحتمل أن يعود الضمير في (لهم) على **أصحاب الكهف**...ويحتمل أن يعود في (لهم) على معاصري رسول الله صلى الله عليه وسلم من **الكفار ومشاقيه.**[38]

أما ابن عاشور فيقول: «وضمير الجمع في قوله (مالهم من دونه من ولي) يعود إلى **المشركين** الذين كان الحديث معهم.»[39]

من خلال ما جاء في التفاسير يبدو أنّ الضمير يعود على أصحاب الكهف هو الأرجح وهذا ما أجمع عليه بعض المفسرين المعاصرين، أحدهم عبد الرحمن بن ناصر السعدي الذي قال: «يقول الله تعالى" مالهم من دونهم من ولي" أي هو الذي تولّى أصحاب الكهف بلطفه وكرمه ولم يكلهم إلى أحد من الخلق»40

7- وفي قوله تعالى: ﴿ وَٱضۡرِبۡ لَهُم مَّثَلٗا رَّجُلَيۡنِ ﴾[41]

اختلف المفسرون في مرجع الضمير في (لهم)على ثلاثة أقوال:

القول الأول: وهو رأي ابن عطية وأبو حيان الأندلسي وفخر الدين الرازي، أما أبو حيان الأندلسي فقد قال: «والضمير في (لهم) عائد على **المتجبرين** الطالبين من الرسول صلى الله عليه وسلم طرد الضعفاء والمؤمنين.»[42]،

أما ابن عطية فيقول: «الضمير في (لهم) عائد على الطائفة المتجبرة.»[43]، أمّا فخر الدين الرازي فيقول: «اعلم أنّ المقصود من هذا أنّ الكفار افتخروا بأموالهم وأنصارهم على فقراء المسلمين (...)وبين ذلك بضرب هذا المثال المذكور في الآية.»[44]

بنفس المعنى وردت كذلك في الآية 44 قال تعالى:﴿ وَٱضۡرِبۡ لَهُم مَّثَلَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا ﴾ حيث يقول فخر الرازي: «"واضرب لهم مثل الحياة الدنيا" أي لهؤلاء الذين افتخروا بأموالهم وأنصارهم على فقراء المسلمين»[45]

القول الثاني: وهو قول الطاهر بن عاشور حيث يقول الطاهر بن عاشور: «والضمير في (لهم) يعود إلى **المشركين من أهل مكة** على الوجه الأول ولم يتقدم لهم ذكر، ويعود إلى جماعة الكافرين والمؤمنين على الوجه الثاني.»[46]

القول الثالث: أنّ الضمير يعود على **الناس**وهو رأي أحد المفسرين المعاصرين عبد الرحمان بن ناصر الساعدي إذ يقول: «يقول تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم اضرب للناس مثلا هذين الرجلين الشاكر لنعمة الله والكافر لها، وما صدر من كل منهما من الأقوال والأفعال (...) وليس معرفة أعيان الرجلين وفي أي مكان وزمان فيه فائدة أو نتيجة. فالنتيجة تحصل من قصتهما فقط.»[47]

من خلال ما جاء في التفاسير يبدو أنّ الرأي الأوّل هو الأرجح وذلك من خلال السياق.

8- وفي قوله تعالى: ﴿مَّآ أَشۡهَدتُّهُمۡ خَلۡقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلَا خَلۡقَ أَنفُسِهِمۡ وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ ٱلۡمُضِلِّينَ عَضُدٗا﴾ [48]

في هذه الآية قولان:

القول الأوّل: وهو قول ابن عطية وأبو حيان الأندلسي، يقول ابن عطية: «الضمير في "أشهدتهم" عائد على **الكفار وعلى الناس بالجملة**، فتتضمن الآية الرّد على طوائف من المنجمين، وأهل الطبائع، والمتحكمين من الأطباء وسواهم من كل من يتخوض في هذه الأشياء.» [49] أمّا أبو حيان الأندلسي فيقول: «قيل يعود على الملائكة والمعنى أنّه ما أشهدتهم ذلك ولا استعان بهم في خلقها بل خلقهم ليطيعوني ويعبدوني فكيف يعبدونهم وقيل يعود على الكفار، وقيل على جميع الناس.» [50]

القول الثاني: أن الضمير يعود على **إبليس وملائكته** وهذا قول الألوسي والطاهر بن عاشور حيث يقول الطاهر بن عاشور: «وضمائر الغيبة في قوله "أشهدتهم" وقوله "أنفسهم" عائدة إلى المتحدث عنه، أي ابليس وذريته كما عاد إليهم الضمير في قوله: ﴿وَهُمۡ لَكُمۡ عَدُوّٞ﴾ [51]

من خلال ما جاء في التفاسير يبدو أن الضمير يعود على ابليس وذريته هو الأرجح وذلك من خلال ما ورد في سياق الآية التي قبلها والضمير يعود على أقرب مذكور.

9- وفي قوله تعالى: ﴿وَجَعَلۡنَا بَيۡنَهُم مَّوۡبِقٗا﴾ [52]

اختلف المفسرون في مرجع الضمير في (بينهم) على قولين:

القول الأول: أنّ الضمير يعود على **المؤمنين والكافرين** وهذا قول ابن عطية حيث يقول «"بينهم" يعود على المؤمنين والكافرين ويحتمل أن يعود على المشركين ومعبوداتهم.» [53]

القول الثاني: أنّ الضمير يعود على **المشركين والشركاء** وهذا قول الطبري وأبي حيان الأندلسي إذ يقول الطبري في تفسيره: «اختلف أهل التأويل في معنى ذلك فقال بعضهم معناه وجعلنا بين هؤلاء المشركين وما كانوا يدعون من دون الله شركاء في الدنيا يومئذ عداوة.»[54]

أمّا أبو حيان الأندلسي فيقول: «والظاهر أنّ الضمير في بينهم عائد على الداعين والمدعوين وهم المشركون والشركاء وقيل يعود على أهل الهدى وأهل الضلالة.»[55]

من خلال ما جاء في التفاسير الأرجح أن الضمير يعود على المشركين والشركاء وذلك من خلال ما ورد في سياق الآية التي سبقتها التي كانت تتحدث عن دعوة الله تعالى المشركين مناداة شركائهم في قوله تعالى:

﴿ وَيَوْمَ يَقُولُ نَادُوا۟ شُرَكَآءِىَ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَهُمْ ﴾، **والضمير يعود على أقرب مذكور.**

10- وفي قوله تعالى: (فَخَشِينَا أَنْ يُرْهِقَهُمَا طُغْيَاناً وَكُفْراً)[56]

اختلف المفسرون في مرجع الضمير في خشينا إلى قولين:

القول الأول: أن الضمير يعود على **الخضر وأصحابه** الصالحين وهذا قول أبو حيان الأندلسي حيث يقول: «والظاهر اسناد فعل الخشية في (خشينا) إلى ضمير الخضر وأصحابه الصالحين الذين أهمهم الأمر وتكلموا وقيل هو من جهة الله وعنه عبر الخضر.»[57]

القول الثاني: أنّ الضمير يعود على **الله تعالى** وهذا قول الطبري وابن عاشور فيقول الطبري في تفسيره: «فخشينا وهي في مصحف عبد الله فخاف ربك أنْ يرهقهما طغيانا وكفرا(...) وكان بعض أهل البصرة يقول معنى خشينا في هذا الموضع كرهنا لأنّ الله لا يخشى، وقال في بعض القراءات فخاف ربك.»[58]

حيث يقول الطاهر بن عاشور: «وضمير الجماعة في قوله "فخشينا" وقوله وأردنا عائدان إلى المتكلم الواحد بإظهار أنّه مشارك لغيره في الفعل وهذا الاستعمال يكون من تواضع لا من التعاظم لأنّ المقام مقام الإعلام بأنّ الله أطلعه على ذلك وأمره، فناسبه التواضع فقال (فخشينا، فأردنا).

من خلال ما جاء في التفاسير يبدو أن القول الثاني هو الأرجح لأن الله حقيقة هو من أطلع الخضر على أمر الغلام وليس من تلقاء نفسه.

11- وفي قوله تعالى: ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَن ذِى ٱلْقَرْنَيْنِ ﴾ [59]

اختلف المفسرون في مرجع الضمير في (يسألونك) على ثلاثة أقوال:

القول الأول: أن الضّمير في (يسألونك)يعود على **أهل الكتاب** وهذا ما ذهب إليه ابن عطية حيث يقول: «اختلف فيمن سأله عن هذه القصة، فقيل سألته طائفة من أهل الكتاب.» [60]

القول الثاني: أنّ الضمير (يسألونك) يعود على **قريش أو على اليهود** حيث يقول أبو حيان الأندلسي:

«الضمير في "يسألونك" عائد على قريش أو على اليهود والمشهور أنّ السائلين قريش حين دستها اليهود على سؤاله على الروح، والرجل الطواف، وفتية ذهبوا في الدهر ليقع امتحانه بذلك.» [61]

القول الثالث: أن الضمير يعود على **قريش** وهذا مذهب الطاهر بن عاشور والطبري حيث يقول الطاهر بن عاشور: «فالسائلون قريش لامحالة والمسؤول عنه خبر رجل من عظماء العالم عرف بلقب ذي القرنين.» [62]

والراجح - والله أعلم –أنّ الضمير عائد على قريش، لأنّه مذهب أكثر المفسرين.

خاتـــمة: إنّ من أهم النتائج التي توصل إليها البحث هي:

- لتحديد مرجعية الضمير في القرآن الكريم يحتاج الرجوع إلى التفاسير وذلك لأنَّ الضمير من المبهمات التي يصعب تأويلها.
- يصعب علينا فهم معنى الآية التي تحوي ضميراً إلاَّ إذا أصبنا ما يعود إليه هذا الضمير.
- الضمير المحتمل من الضمائر التي يصعب تحديد مرجعيتها نظرا لاختلاف المفسرين في تأويلاتهم.
- الضمير المحتمل – في سورة الكهف – أخذ قسطا وافرا من اهتمام المفسرين.
- أغلبية الضمائر المحتملة كانت للغائب وذلك لأنّ الغائب يصعب تحديد مرجعه بخلاف الضمائر الحضور من متكلم ومخاطب.
- يؤدي السياق دورا مهما في تحديد مرجعية الضمير، فلولاه ما حُدِّدَتْ مرجعية جلِّ الضمائر في سورة الكهف.

قائمة المصادر والمراجع:

القرآن الكريم برواية حفص عن عاصم

- الألوسي البغدادي أبو الفضل شهاب الدين السيد محمود: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، تحقيق: عليّ عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان الطبعة الأولى، (1415هـ/1994م).

- تمام حسان: اللغة العربية معناها ومبناها، دار الثقافة، الدار البيضاء- المغرب (د.ط) (1994).

- ابن جزي الكلبي محمد بن أحمد: تفسير ابن جزي، دار الكتاب العربي بيروت- لبنان (د.ط)، (1403ه- 1983م).

- الجوهري إسماعيل بن حمّاد: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطّار، دار العلم للملايين، بيروت- لبنان، الطبعة الثالثة (1404ه/1984م).

- أبو حيّان الأندلسي محمد بن يوسف: البحر المحيط، تحقيق: زكريا عبد المجيد النوتي، وأحمد النجولي الجمل، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، (الطبعة الأولى) (1413ه/1993م).

- ابن دريد أبو بكر محمد بن حسن: جمهرة اللغة، تحقيق: رمزي منير البعلبكي دار العلم للملايين، بيروت- لبنان، الطبعة الأولى(1987م).

- الرازي محمد فخر الدين بن ضياء الدين عمر: التفسير الكبير ومفاتيح الغيب تحقيق: خليل الميس، دار الفكر، بيروت- لبنان، الطبعة الأولى، (1401هـ/1971م).

- الزمخشري جار الله أبو القاسم محمود بن عمر: الكشاف عن غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وآخرون، مكتبة العبيكان الرياض- المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى، (1418هـ/1998م).

- السّامرائي فاضل صالح: معاني النحو، دار الفكر، عمان- الأردن، الطبعة الأولى،(1420ه - 2000م).

- السعدي عبد الرحمن بن ناصر: تيسير كريم الرحمن في تيسير كلام المنان دار التقوى، القاهرة- مصر، الطبعة الأولى، (1436ه/2015م).

- السمين الحلبي شهاب الدين أبو العباس بن يوسف بن محمد بن إبراهيم: الدر المصون في علوم كتاب الله المكنون، تحقيق: أحمد محمد الخراط، دار القلم دمشق- سوريا، - (د.ط)، (د.ت)، (1414هـ/1994م).

- صبرة محمد حسنين: مرجع الضمير في القرآن الكريم، دار غريب، القاهرة- مصر الطبعة الثانية، (2001).

- الطبري أبو جعفر محمد بن جرير: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر للنشر والتوزيع، القاهرة- مصر، الطبعة الأولى (1422هـ/2001م).

- ابن عادل الدمشقي الحنبلي أبو حفص عمر بن عليّ: اللباب في علوم الكتاب تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود، وعليّ محمد معوّض، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، (الطبعة الأولى)، (1419ه/1998م).

- ابن عاشور محمد الطاهر: تفسير التحرير والتنوير، دار سحنون للنشر والتوزيع تونس- تونس، (د.ط)، (1997م).

- ابن عبَّاد كافي الكفاة الصَّاحب إسماعيل: المحيط في اللغة، تحقيق: محمد حسن آل ياسين، عالم الكتب، بيروت- لبنان،الطبعة الأولى (1414هـ/1994م).

- عباس حسن: النحو الوافي مع ربطه بالأساليب الرفيعة، والحياة اللغويّة المتجددة، دار المعارف، القاهرة –مصر، الطبعة الثالثة، (1974م).

- ابن عطية الأندلسي أبو محمد عبد الحق بن غالب: المحرر الوجيز، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، الطبعة الأولى (1422ه/2001م).

- ابن فارس أبو الحسين أحمد بن زكريا: مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، بيروت- لبنان، (د.ط)، (1399ه/1979م).

- الفراهيدي أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد: العين، تحقيق: مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت- لبنان، الطبعة الأولى (1408ه/1988م).

ثبت الهوامش:

1- يُنظَر: الفراهيدي أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد: العين، تحقيق: مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت- لبنان، الطبعة الأولى، (1408ه/1988م)، مادة(ض م ر)، 41/7.

2- ابن دريد أبو بكر محمد بن حسن: جمهرة اللغة، تحقيق: رمزي منير البعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت- لبنان، الطبعة الأولى(1987م)، مادة (ض م ر)، 751/2.

3- ابن عبَّاد كافي الكفاة الصَّاحب إسماعيل: المحيط في اللغة، تحقيق: محمد حسن آل ياسين عالم الكتب، بيروت- لبنان،الطبعة الأولى (1414هـ/1994م)، مادة (ض م ر)، 19/8- 20.

4- ابن فارس أبو الحسين أحمد بن زكريا: مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، بيروت- لبنان، (د.ط)، (1399ه/1979م)، مادة (ض م ر)، 371/3.

5- الجوهري إسماعيل بن حمّاد: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطّار، دار العلم للملايين، بيروت- لبنان، الطبعة الثالثة (1404ه/1984م)، مادة (ض م ر)، 722/2.

6- السّامرائي فاضل صالح: معاني النحو، دار الفكر، عمان- الأردن، الطبعة الأولى،(1420ه - 2000م)، 42/1.

7- عباس حسن: النحو الوافي مع ربطه بالأساليب الرفيعة، والحياة اللغويّة المتجددة، دار المعارف القاهرة –مصر، الطبعة الثالثة، (1974م)،217.

8- تمام حسان: اللغة العربية معناها ومبناها، دار الثقافة، الدار البيضاء- المغرب، (د.ط)، (1994) 109.

9- ينظر: صبرة محمد حسنين: مرجع الضمير في القرآن الكريم، دار غريب القاهرة- مصر الطبعة الثانية، (2001)، 15.

10- المرجع نفسه، 25.

11- الكهف/1.

12- أبو حيّان الأندلسي محمد بن يوسف: البحر المحيط، تحقيق: زكريا عبد المجيد النوتي وأحمد النجولي الجمل، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، (الطبعة الأولى)، (1413ه/1993م) 94/6.

13- ابن عادل الدمشقي الحنبلي أبو حفص عمر بن عليّ: اللباب في علوم الكتاب، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود، وعليّ محمد معوّض، دار الكتب العلمية بيروت- لبنان، (الطبعة الأولى) (1419ه/1998م)، 416/12.

14- يُنْظَرُ: الطبري أبو جعفر محمد بن جرير: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر للنشر والتوزيع، القاهرة- مصر، الطبعة الأولى (1422هـ/2001م)، 141/15.

15- ابن عاشور محمد الطاهر: تفسير التحرير والتنوير، دار سحنون للنشر والتوزيع، تونس- تونس، (د.ط)، (1997م)، 248/15.

16- الكهف/5.

17- أبو حيّان الأندلسي: البحر المحيط، 95/6، ينظر: الألوسي البغدادي أبو الفضل شهاب الدين السيد محمود: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، تحقيق: عليّ عبد الباري عطية دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، الطبعة الأولى، (1415هـ/1994م)، 195/8.

18- ابن عادل الدمشقي الحنبلي: اللباب في علوم الكتاب، 422/12.

19- ابن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، 251/15.

20- الكهف/20.

21- الزمخشري جار الله أبو القاسم محمود بن عمر: الكشاف عن غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وآخرون مكتبة العبيكان، الرياض- المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى (1418هـ/1998م)، 574/3. وينظر: الألوسي: روح المعاني، 8/ 220.

22- أبو حيّان الأندلسي: البحر المحيط،6/.107.

23- ابن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، 288/15.

24- السمين الحلبي شهاب الدين أبو العباس بن يوسف بن محمد بن إبراهيم: الدر المصون في علوم كتاب الله المكنون، تحقيق: أحمد محمد الخراط، دار القلم دمشق- سوريا، - (د.ط)، (د.ت) (1414هـ/1994م)،464/7.

25- الكهف/21.

26- ينظر: ابن عطية الأندلسي أبو محمد عبد الحق بن غالب: المحرر الوجيز تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، الطبعة الأولى، (1422ه/2001م)، 506/3.

27- ينظر: ابن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، 288/15.

28- السعدي عبد الرحمن بن ناصر: تيسير كريم الرحمن في تيسير كلام المنان دار التقوى القاهرة- مصر، الطبعة الأولى، (1436ه/2015م)،447.

29- الكهف/22.

30- الزمخشري: الكشاف،3 /575.وينظر: السعدي عبد الرحمن بن ناصر: تيسير كريم الرحمن في تيسير كلام المنان، 447.

31- الطبري: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، 218/15.

32- أبو حيان الأندلسي: البحر المحيط، 109/6.

33- ابن جزي الكلبي محمد بن أحمد: تفسير ابن جزي، دار الكتاب العربي بيروت- لبنان، (د.ط) (1403ه- 1983م)،390.

34- الكهف/26

35- الزمخشري: الكشاف، 579/3.

36- الألوسي: روح المعاني، 243/8.

37- الطبري: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، 234/15.

38- ينظر: ابن عطية: المحرر الوجيز، 511/3.

39- ابن عاشور: تفسير التحرير والتنوير،302/15

40- السعدي عبد الرحمن بن ناصر: تيسير كريم الرحمن في تيسير كلام المنان 448.

41- الكهف/32.

42- أبو حيان الأندلسي: البحر المحيط، 118/6.

43- ابن عطية: المحرر الوجيز، 515/3.

44- يُنظر: الرازي محمد فخر الدين بن ضياء الدين عمر: التفسير الكبير ومفاتيح الغيب، تحقيق: خليل الميس، دار الفكر، بيروت- لبنان، الطبعة الأولى (1401هـ/1971م)،21 /125.

45- المصدر نفسه، 131/21.

46- ابن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، 316/15.

47- السعدي عبد الرحمن بن ناصر: تيسير كريم الرحمن في تيسير كلام المنان، 450.

48- الكهف/51.

49- ابن عطية: المحرر الوجيز، 523/3.

50- أبو حيان الأندلسي: البحر المحيط، 130/6.

51- ابن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، 343/15، وينظر: الألوسي: روح المعاني، 279/8.

52- الكهف/52

53- ابن عطية: المحرر الوجيز، 524./3.

54- الطبري: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، 295/15.

55- أبو حيان الأندلسي: البحر المحيط، 130/6.

56- الكهف/80.

57- أبو حيان الأندلسي: البحر المحيط،147/6.

58- الطبري: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، 357/15- 358

59- الكهف/83.

60- ابن عطية: المحرر الوجيز، 538/3.

61- أبو حيان الأندلسي: البحر المحيط، 130/6

62- ابن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، 17/7.